القسم الثالث

النظرية الجاهلية في النفس

النظرية الجاهلية في النفس

من التصور الإسلامي للنفس ثبت ارتباط الإنسان بالدين.
كما قامت المدرسة الإسلامية للتحليل النفسي على أساس هذا الارتباط و من خلال المسميات و المصطلحات اللغوية والشرعية.
والقاعدة العامة في التحريف الجاهلي للحق هي قاعدة النقض..
فكان لابد من نقض التصور الإسلامي للنفس..
وكان لابد أيضاً أن تقوم النظرية الجاهلية في النفس على قطع هذا الارتباط و فصل الإنسان عن الدين .
وكان لابد أن يتم ذلك بصورة مقنعة و بصيغة يصعب مناقشتها.

فقامت النظرية على حقيقة طبيعية في النفس،يتم من خلالها تعويض كل الظواهر المثبتة للدين بظواهر أخرى تنفي هذا الإثبات.
وكان لزاماً في البداية تفسير هذا التعويض.. ليتم بعدها تفسير الفعل الجاهلي في النفس.
وتحقيقا لهذا التفسير نعود الى ما اتفقنا عليه .

ـ اتفقنا فيما سبق أن العناصر التكوينية للإنسان : (الروح – القلب – العقل) هي المكونة لمصطلح النفس.. وأن هذه العناصر تتجه نحو الذات.
وأن الذات تتجه نحو الأمة.
وأن الأمة تتجه نحو العبادة.
فالنفس تثبت من خلال ذاتها.
والذات تثبت حقيقتها من خلال الأمة.
والأمة تثبت حقيقتها من خلال عبوديتها لله رب العالمين.

ومن أجل توجه النفس للذات والتحيز لها...فإن مجموعة من الظواهر النفسية تؤكد هذا التوجه .. و توجه النفس للذات وتحيزها كما هي مطروحة في التصور الإسلامي سيربطها في النهاية بحقيقة العبادة .

وفي اطار هذا التوجه النفسى للذات تثبت في النفس حقيقه أخرى بعد حقيقه التوجه ... وهي الثنائيه ..

والمقصود بالثنائية هي كل خطين متوازيين في الاتجاه متجانسين في التأثير .

يفسر ذلك مناقشة بعض هذه الثنائيات . . . غير أن : أهم وأخطر هذه الثنائيات

الجنس والعبادة :

والتناسب في التوازى بينهما هو أن كليهما يبلغان (أعمق) تأثير في الكيان الإنساني.

كما يبلغان (أشمل) تأثير في الكيان الإنساني.

ومن العمق والشمول .. كصفتان مشتركتان للجنس والعباده كان التعويض.

اذن التعويض هو الانتقال من خط الى أخر بالتعويض بين الخطوط الثنائيه في النفس .

فارتكزت الجاهلية على ظاهره التعويض , وكان الجنس هو طرف التعويض عن العبادة..

وكان الجنس والعبادة هما فرسي الرهان في الوصول إلى موضع التأثير العميق الشامل.

وبذلك يكون تقبل الإنسان للجنس بديلاً عن العبادة راجع إلى طبيعة التجانس بين طرفي التعويض.

لأن الممارسة الطبيعية للتعويض في السلوك الإنساني تجعل الإنسان يتقبل التعويض بالجنس بديلاً عن العبادة بصورة سهلة.

فعندما يكون النقص مثلاً في قدرة الرجل على المعاشرة الزوجية، فإن المال يمثل تعويضاً نفسياً عند المرأة.. وتكون هذه الحالة تعويض نفسي وشرعي صحيح ؛ لأن كل من العنصرين : القدرة على المعاشرة، والمال ؛ هما عنصري الرجولة والقوامة في نظر المرأة، وهذا يوافق قول الله عز وجل : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) (النساء : 34).

ويعتبر هذا تعويضا صحيحا

ومن التعويض ما هو مرضي....
فمثلاً، عندما لا يقيم الإنسان الصلاة فإنه يخفف من وطأة الأمر على نفسه ببناء المساجد وتزيينها. وفي هذه العلاقة التعويضية يقول الأثر " لتزيننها ثم لا يعمرنها منكم إلا قليل[1]

---

(1) [صحيح] أخرجه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم في (الصلاة / بـ بنيان المساجد) قال البخاري : بَاب بُنْيَانِ الْمَسْجِدِ وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : [كَانَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ ، وَأَمَرَ عُمَرُ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ ، وَقَالَ أَكِنَّ النَّاسَ مِنْ الْمَطَرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمِّرَ أَوْ تُصَفِّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ] . وَقَالَ أَنَسٌ : [يَتَبَاهَوْنَ بِهَا ثُمَّ لَا يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلًا] .
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : [لَتُزَخْرِفُنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى] .
قال الحافظ في " الفتح " (الصلاة / بـ بنيان المساجد) في التعليق على أثر أبو سعيد :
" وَالْقَدْر الْمَذْكُور هُنَا طَرَف مِنْ حَدِيثه فِي ذِكْر لَيْلَة الْقَدْر , وَقَدْ وَصَلَهُ الْمُؤَلِّف فِي الِاعْتِكَاف وَغَيْره مِنْ طَرِيق أَبِي سَلَمَة عَنْهُ " اهـ .
وقال الحافظ في التعليق على أثر أنس رضي الله عنه :
" ... وَهَذَا التَّعْلِيق رَوَيْنَاهُ مَوْصُولًا فِي مُسْنَد أَبِي يَعْلَى وَصَحِيح اِبْن خُزَيْمَةَ مِنْ طَرِيق أَبِي قِلَابَةَ أَنَّ أَنَسًا قَالَ : [سَمِعْته يَقُول : يَأْتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَان يَتَبَاهَوْنَ بِالْمَسَاجِدِ ثُمَّ لَا يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلًا] .
(تَنْبِيهٌ) : قَوْله " ثُمَّ لَا يَعْمُرُونَهَا " الْمُرَاد بِهِ عِمَارَتهَا بِالصَّلَاةِ وَذِكْر اللَّه , وَلَيْسَ الْمُرَاد بِهِ بُنْيَانهَا . اهـ .
وقال في الموضع السابق – في شرحه للأثر ابن عباس :
هَذَا التَّعْلِيق وَصَلَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْن حِبَّانَ مِنْ طَرِيق يَزِيد بْن الْأَصَمّ عَنْ اِبْن عَبَّاس هَكَذَا مَوْقُوفًا , وَقَبْله حَدِيث مَرْفُوع وَلَفْظه " مَا أُمِرْت بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِد " وَظَنَّ الطِّيبِيُّ فِي شَرْح الْمِشْكَاة أَنَّهُمَا حَدِيث وَاحِد فَشَرَحَهُ عَلَى أَنَّ اللَّام فِي " لَتُزَخْرِفُنَّهَا " مَكْسُورَة وَهِيَ لَام التَّعْلِيل لِلْمَنْفِيِّ قَبْله , وَالْمَعْنَى : مَا أُمِرْت بِالتَّشْيِيدِ لِيُجْعَل ذَرِيعَة إِلَى الزَّخْرَفَة , قَالَ : وَالنُّون فِيهِ لِمُجَرَّدِ التَّأْكِيد , وَفِيهِ نَوْع تَوْبِيخ وَتَأْنِيب , ثُمَّ قَالَ : وَيَجُوز فَتْح اللَّام عَلَى أَنَّهَا جَوَاب الْقَسَم . قُلْت : وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمَد , وَالْأَوَّل لَمْ تَثْبُت بِهِ الرِّوَايَة أَصْلًا فَلَا يُغْتَرّ بِهِ , وَكَلَام اِبْن عَبَّاس فِيهِ مَفْصُول مِنْ كَلَام النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكُتُب الْمَشْهُورَة وَغَيْرهَا , وَإِنَّمَا لَمْ يَذْكُر الْبُخَارِيّ الْمَرْفُوع مِنْهُ لِلِاخْتِلَافِ عَلَى يَزِيد بْن الْأَصَمّ فِي وَصْله وَإِرْسَاله , قَالَ

وبعد تفسير التعويض و أثره في العلاقة بين طرفي الحقيقة الثنائية في النفس تأتى المقارنة بين العبادة و الجنس لإثبات التجانس من حيث التأثير .

و ذلك من خلال عدة عناصر:
1- المعنى الإنساني للعبادة و الجنس.
2- الاستيعاب .
3- الاطمئنان.

- **المعنى الإنساني للعبادة و الجنس:**

أولاً: العبادة:
العبادة علة الوجود الإنساني : " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ".
والعبادة تحقق المعنى الإنساني الكامل ؛ و لذلك كان الخروج عن أي صورة صحيحة للعبادة يكون خروجاً عن الصورة الإنسانية الصحيحة.
أخرج مسلم من حديث عائشة مرفوعاً: كان ينهي عن عُقبة الشيطان[1]، وأخرج أحمد والبيهقي، عن أبي هريرة: نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقرةٍ كنقرة الدِّيك والتفاتٍ كالتفات الثعلب وإقعاء كإقعاء الكلب .

الْبَغَوِيُّ : التَّشْيِيد رَفْع الْبِنَاء وَتَطْوِيله , وَإِنَّمَا زَخْرَفَتْ الْيَهُود وَالنَّصَارَى مَعَابِدهَا حِين حَرَّفُوا كُتُبهمْ وَبَدَّلُوهَا .
قلتُ :
أثر ابن عباس أخرجه أبو داود في (الصلاة / بـ في بناء المساجد / ح 448) : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : [لَتُزَخْرِفُنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى] ، وهو صحيح موقوفاً ، وله حكم الرفع لأن مثله لا يقال من قِبل الرأي ن ولا مجال للإجتهاد فيه فيحمل على السماع كما جزم بذلك الرازي في " المحصول " وغير واحد من أئمة الحديث . انظر " تدريب الراوي " (1 / 283) .

(1) [صحيح] أخرجه مسلم في (الصلاة / بـ ما يجمع صفة الصلاة وما يفتتح به ويختم / ح 498) من حديث عَائِشَةَ قَالَتْ : [كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةَ بِـ الْحَمْد لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَكَانَ إِذَا رَكَعَ لَمْ يُشْخِصْ رَأْسَهُ وَلَمْ يُصَوِّبْهُ وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرُّكُوعِ لَمْ يَسْجُدْ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَائِمًا وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ السَّجْدَةِ لَمْ يَسْجُدْ حَتَّى يَسْتَوِيَ جَالِسًا وَكَانَ يَقُولُ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ التَّحِيَّةَ وَكَانَ يَفْرِشُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَيَنْصِبُ رِجْلَهُ الْيُمْنَى وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقْبَةِ الشَّيْطَانِ وَيَنْهَى أَنْ يَفْتَرِشَ الرَّجُلُ ذِرَاعَيْهِ افْتِرَاشَ السَّبُعِ وَكَانَ يَخْتِمُ الصَّلَاةَ بِالتَّسْلِيمِ] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(اعتدلوا في السجود ولا يبسط أحدكم ذراعية انبساط الكلب)3
وروى أحمد عمن سمع أبا هريرة يقول -أوصاني خليلي بثلاث ونهاني عن ثلاث أوصاني بالوتر قبل النوم وصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى قال ونهاني عن الإلتفات واقعاء كاقعاء القرد ونقر كنقر الديك.
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا يَأْمَنُ الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ فِي صَلاَتِهِ قَبْلَ الإِمَامِ، أَنْ يُحَوِّلَ الله صُورَتَهُ فِي صُورَةِ حِمَارٍ".(2)
حديث جابر بن سمرة قال: [خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ](1) رواه مسلم.

- **" نقر كنقر الديك "**
- **" التفات كالتفات الثعلب ".**
- **" إقعاء كإقعاء القرد".**
- **" بسط كبسط الكلب".**
- **" أيدي كأذناب الخيل " .**
- **" تحول الوجه كوجه الحمار .**

ثانياً: الجنس :

---

(2) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الأذان / بـ إثم من رفع رأسه قبل الإمام / ح 691) ، ومسلم في (الصلاة / بـ تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما / ح 427) من حديث أبي هريرة .

(1) [صحيح] أخرجه مسلم في (الصلاة / بـ الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة / ح 430) من حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ : [خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَأَنَا حِلَقًا فَقَالَ مَالِي أَرَاكُمْ عِزِينَ قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا قَالَ يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ] .

و كما كانت العبادة هي العلة الغائية للوجود الإنسانى كان الجنس هو العلة السببية لهذا الوجود ، بمعنى أن العبادة غاية والجنس سبب، و كما كان الخروج عن الصورة الصحيحة للعبادة خروجاً عن الصفة الإنسانية للإنسان كان أيضاً الخروج عن الصورة الصحيحة للجنس هو خروج عن الصفة الإنسانية، ابتداءً من أبسط درجات الانحراف، وانتهاءً بالخروج عن الصفة الإنسانية كلية،كما قال : " يتسافدون تسافد الحمر الوحشية ".

ومن حيث الأصل ؛ فإن العلاقة بين العبادة والجنس في الإنسان الفطري والتصور الإسلامي يتوافقان ؛ ولذلك كان رسول الله يؤكد هذا التوافق , فكان يصلي في فراش عائشة، وكان يقول : " حبب إلي من دنياكم : الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة."[1]

وبذلك يثبت التجانس بين العبادة و الجنس

ولذلك كانت العبادة والجنس هما المعيارين الأساسيين في تكوين الشخصية الإنسانية، ولكن "الجاهليه" عندما أرادت إلغاء جانب العبادة في تكوين الشخصية الإنسانية كان لابد لها أن تستبدل العباده بالفاحشة لينشأ التضاد الذي يذهب بالعباده،

فكانت الخطوة الأولي هي ما جاء في قول الله سبحانه وتعالى : فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً (مريم : 59).

---

(1) [صحيح] أخرجه أحمد في " مسنده " (3 / 128) ، والنسائي في " الكبرى " (7 / 61) ، والحاكم من طريق أخر في " المستدرك " (2 / 128) ، وصححه ووافقه الذهبي .

ومن هنا نشأ التضاد بين العبادة والجنس عندما يكون انحرافا وفاحشة، وكان ذلك تفسير قول الله : ﴿.. إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت : 45)

وبذلك يضيع المعنى الإنساني للمعاشره الزوجيه الصحيحه حيث يتحول الإنسان بالفاحشة إلى الدرك الحيواني كما قال رسول الله " فتبقى فئة تقذرها نفس الله يتسافدون تسافد الحمر".

- **الاستيعاب :**

ومعناه أن كل من العبادة والجنس استيعاب كامل لكيان الإنسان ؛ فمن حيث العبادة دل قول رسول الله على ذلك، فقال :[سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ][2].

" اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت "[1] " خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي "[2] " سبوح قدوس رب الملائكة

---

(2) [صحيح] أخرجه مسلم في (صلاة المسافرين وقصرها / بـ الدعاء في صلاة الليل وقيامة / ح 771) من حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ : [وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ وَإِذَا رَكَعَ قَالَ اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي وَإِذَا رَفَعَ قَالَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ وَإِذَا سَجَدَ قَالَ اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ] .

(1) [صحيح] وقد تقدم في الذي قبله .

(2) [صحيح] وقد تقدم في الذي قبله .

والروح "[3] " سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي "[4]

فيتبين أن حقيقة العبادة استيعاب للكيان الإنساني بصورة كاملة، فإذا جئنا إلى الجنس فإننا نستدل على هذا الاستيعاب بالحكم الشرعي المترتب على الزنا وهو الرجم، حيث يشمل هذا الحكم الكيان الإنساني كله.

وحتى لو ستر الله العبد فلم يقم عليه الحد فإن الدليل على استيعاب الفعل لكيان الإنسان هو أن يرفع عنه الإيمان حتى يصير مثل الظلة، لأنه لا مكان للإيمان في كيان الإنسان وقت الوقوع في الفاحشة، ويردّ إليه الإيمان كما قال صلى الله عليه وسلم :
" والتوبة معروضة بعد "[5]. ويتضمن معنى الاستيعاب معنى العمق ؛ حيث يمثل كل من العبادة والجنس أبعد عمق في كيان الإنسان.

وأعمق بعد هو الاطمئنان لأن الاطمئنان هو المستقر.

- الاطمئنان:

و الاطمئنان مقدمة للعبادة : ﴿ فَإذا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاما وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإذا

---

(3) [صحيح] أخرجه مسلم في (الصلاة / بـ ما يقال في الركوع والسجود / ح 487) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ أَنَّ عَائِشَةَ نَبَّأَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ : [سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ] .

(4) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الأذان / بـ الدعاء في الركوع / ح 794) ، ومسلم في (الصلاة / بـ ما يقال في الركوع والسجود / ح 484) من حديث عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ [سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ] ، ولفظ " يتأول القرآن مُدرج " .

(5) [متفق عليه] أخرجه البخاري في (الحدود / بـ إثم الزناة / ح 6810) ، ومسلم في (الإيمان / بـ بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالزنا / ح 57) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : [لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ] .

اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً (النساء : 103).

والاطمئنان أثر للعبادة : إِنَّ الإنسان خُلِقَ هَلُوعاً * إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً *وإذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ (المعارج 22:19).

والاطمئنان مقدمة للمعاشرة الزوجية و أثر لها وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إليها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (الروم : 21).

و بذلك تم تفسير العلاقة بين العبادة و الجنس كحقيقة ثنائية في النفس البشرية بمعناها المذكور (الحقيقة الثنائية: هي كل خطين متوازيين في الاتجاه متجانسين في التأثير).

و هنا تدخلت الدراسة الجاهلية للنفس البشرية – فرويد و غيره - فدمرت خط العبادة الصحيحة و استبدلت به الجنس تفسيراً للسلوك الإنسانى.

و لكن الدراسات الجاهلية المرتكزة على الجنس تبدأ في الحقيقة منذ خلق الله آدم؛ لأن إبليس أدرك في آدم ضعفا خطيرا، حيث دخل من فم آدم وهو لم يزل طيناً وخرج من دبره، وهكذا اكتشف إبليس في كيان الإنسان حقيقة ارتكزت عليها الدراسات التحليلية للنفس، فقام فرويد ليقول : إن المرحلة الشرجية هي أساس التفسير الجنسي، وأن الجنس هو أساس التحليل النفسي.

وليس أدل على شيطنة هذه النظرية من أن يكون تفسير السلوك منذ الطفولة تابعاً لأثر الشيطان في كيان آدم وهو لم يزل بعد طيناً، إذ إن الرسول يقول : " فنظر إبليس إلى آدم فدخل في فمه وخرج من دبره " (الشرج)، وكانت هذه الحركة

تهدف إلى إحداث تسلط شيطاني على هذين الموضعين، مثلما يضرب الشيطان المولود فيستهل صارخاً. فكان دخول إبليس من فم آدم والخروج من دبره لما كان طيناً أسبق من هذه الضربة التي تكون عند الولادة. ومن هنا تمثل أثر إبليس في الإنسان منذ خلقه بالاهتمام بطبيعة الفم على اعتبار أنها أهم حركة بالنسبة له : (الرضاعة)، الاهتمام بعملية الإخراج على اعتبار أنها الحركة الطبيعيه بعد الرضاعه، وقد يحدث الشيطان في نفس الطفل أثراً للتسلط القديم، فينشغل الطفل سلوكياً بالفم والشرج. فيأتي فرويد ليأصل هذا التسلط فيسمي مراحل النمو عند الطفل بمقدار اهتمام الطفل بهذين الموضعين: الفم والدبر؛ فيسمي مراحل النمو باسمهما : (المرحلة الفمية والمرحلة الشرجية).
الثنائية الثانية : العبادة والإنتاج :

ولم تكن العبادة والجنس، هي الصيغة الوحيدة للظاهرة الثنائية في النفس البشرية ؛ فهناك ثنائية أخرى : وهي العبادة والإنتاج.

وبنفس الأسلوب التعويضي تم استبدال القدرة على الإنتاج بالقدرة على العبادة في شواهد الصحة النفسية.

والحقيقة أن القدرة على العبادة هي الشاهد الأول على الصحة النفسية ؛ لأن العبادة هي الغاية النهائية للوجود الإنساني.
وتحقيق هذه الغاية يعني أن الإنسان في حدود الوجود الطبيعي للإنسان.
حتى لو كان الإنسان مصاباً نفسياً فيمكن علاجه في إطار الطبيعة الأساسية السليمة له والتي تدل عليها (العباده).
وكما كان العباده و الجنس كانت العباده و الانتاج ..

و قد تقرر أن العبادة هي غاية الخلافة . الوجود الانسانى و الخلافه هي الصيغه الشرعيه لهذا الوجود

فالاستعمار المادي للأرض : (الإنتاج) هو السبب الكوني للخلافة : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : 30).

فارتبطت الخلافة بأسبابها المادية : (الإنتاج) كما ارتبطت بغايتها : (العبادة).

وأصبح الإنتاج والعبادة متلازمين في إطار (الخلافة).

و وفقاً لقاعدة الحقيقة الثنائية (كل خطين متوازيين في الاتجاه متجانسين في التأثير) أمكن من خلال هذا التلازم استبدال الإنتاج بالعبادة في شواهد الصحة النفسية.الدراسه الجاهليه

فقررت اصحاب هذه الدراسه أن القدرة على الإنتاج هي أول شاهد للصحة النفسية.

ولكن الدراسة الإسلامية تؤكد أن العبادة هي هذا الشاهد.

وكما كان التعويض استبدال العباده بالجنس و الانتاج فان الاستبدال لم يتوقف عند حد الخطوط الثنائيه في النفس

بل تجاوزه الى ظواهر نفسيه آخرى خارج هذه الثنائيه وذلك استمرار في محاوله الهروب من الدين ...

فالتفسير الإسلامي للرؤيه آنها صور كونيه لحقائق غيبيه وفقا للناموس

والناموس هو النظام الجامع للخلق و الامر أو الكون والدين

ظاهرة ثنائية التكيف و الواقع :

ذلك أنهم يعتبرون أن أهم شواهد الصحة النفسية عند الإنسان هو قدرته على التكيف مع الواقع الذي يعيشه دون النظر إلى هذا الواقع من حيث الخطأ والصواب.. فالمهم أن يتكيف.

ولما كانت القاعدة العامة في الهروب من الدين في هذه الدراسة هي التعويض الذي يجعل به الشيطان لكل حق بديلاً باطلاً

فكان من مفهوم التكيف مع " الواقع " بديلاً عن " الحق ".

و باعتبار قاعده الثنائيه كان الأصل المشترك لطرفي التعويض الواقع و الحق يرجع إلى أن طبيعة كل منهما (حجة نفسية).
وللواقع اثر طبيعي في النفس.

و لما كان الواقع له هذا الأثر ؛ استبدل الشيطان الحق بالواقع الباطل . .
حتى إن فرعون يستشهد بالواقع على ملكه لمصر يؤكد به صوابه كدليل في نفس الاتباع: ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ (الزخرف:51).
وعندما وسوس الشيطان بمفهوم التكيف، فانه كان في الحقيقة يدعو إلى التكيف مع الواقع المنفصل عن الحق، ومن هنا كان الخطر.
لأن هذا المفهوم يعني القضاء على معيار الحق في الواقع.

فكان هذا المصطلح عند أصحاب الدراسة غير الإسلامية يعني قدرة الفرد على التكيف أو قدرة

الفرد على تشكيل وتغيير شخصيته وفقاً لمقتضيات الواقع.

أما مفهوم التكيف في الدراسة الإسلامية للنفس فهو قائم على الحق و التقييم الشرعي للواقع وقائم على تحقيق مقتضى هذا التتقييم الشرعي سواء بالمواجهه أو الاعتزال.

والحقيقة أن الفرد مكلف بتقييم الواقع قبل التكيف معه فإن كان واقعاً صحيحاً كان التكيف هنا مع الحق وإن كان الواقع باطلاً كان النهي عن التكيف. وهذا مضمون قول النبي لا تكن إمعة إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسئت. ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس تحسنوا وإن أساءوا فلا تسيئوا " [1].

ومن الظواهر النفسية التي كانت مجالا في الدراسه الجاهليه للهروب من الدين

ظاهرة الضمير .

فعندما تجد الجاهلية نفسها أمام ظاهرة بشرية تثبت الدين فإنها تطرح تفسيراً لا يزيد الأمر إلا غموضاً.
مثل مسألة الضمير.. ما هو الضمير وما تفسير وجوده؟!!
الإسلام وحده الذي يملك التفسير الصحيح.
فالضمير هو النفس اللوامة..
.. لأن الله سبحانه خلق الإنسان مهيأ تكوينيا للحساب يوم القيامة ومن أجل تهيئته للقيامة والحساب فإن الله سبحانه أنشأ فيه ما اسميناه :

---

(1) [ضعيف] أخرجه الترمذي في (البر والصلة / بـ ما جاء في الإحسان والعفو / ح 2007) من حديث حُذَيْفَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا] قَالَ الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وضعفه الشيخ الألباني في (ضعيف الترمذي / 225 / ح 345) .

الضمير.. وهو في حقيقته نفس الإنسان في حال محاسبتها على الأعمال خوفاً قبل الحساب عليها في الآخرة، ولذلك قال الله سبحانه : ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَة (1) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَة (2) ﴾ (القيامة).

إن اسم النفس اللوامة يربط ويثبت العلاقة بالآخرة، ولذلك استبدله أصحاب الدراسات الأخرى " بالأنا الأعلى " ليكون ظاهرة نفسية مبتورة العلاقة بالحساب عند الله سبحانه.

فكيف تقبل الناس عبارة (الأنا الأعلى) دون أن يتساءل أحد : ما الذي أوجد الفرق بين الأنا والأنا الأعلى ومن الذي أحدث هذا العلو الأنوي ؟

فلقد ذهب فرويد مؤسس هذا العلم , وذهب الاهتمام الذي كان قائما حوله حتى الستينيات من هذا القرن في الغرب ، ولكن العلم الذي أسسه ـ ان سمى هذا علما ـ مازال يعيش في العيادات النفسية المنتشرة في الغرب ، والتي أصبح من الأمور المعتادة فيه

ـ ان لم يكن من الضرورات ـ أن يرتاد الانسان ـ فتى أو فتاة ، رجلا أو امرأة ـ احدى العيادات النفسية على فترات تختلف باختلاف (حالة) كل شخص ، وقد تصل أحيانا الى مرة كل أسبوع !

وفي النظرية الجاهلية للنفس يقول الأستاذ محمد قطب :

وفي المعتاد يقول الطبيب النفسى للمريض الذي يعالجه (أنت تعانى من الكبت) من عقدة نفسية أو أكثر . انطلق ! هذا علاجك)!

عقدة التحليل النفسى أنه يسقط (الانسان) ، اذ يسقط الارادة الضابطة في الانسان ، ويفسر

الأمور على أساس جبرية نفسيه لا تدع للانسان مجالا للاختيار ....

هذا في مجال تبرير الجريمة ... ثم يدعو الى اطلاق الشهوة البهيمية على أنها علاج للكبت

وهذا في مجال تزيين الجريمة . وفي كلا المجالين يتعامل مع الحيوان و ليس مع الانسان .

وعلى الرغم مما تكشف للناس من التزييف الواضح في نظريات فرويد الخاصة بالتفسير الجنسى للسلوك البشرى ، ومن اعتماده في نظرياته على المرض والشواذ ، وتعميم الملاحظات المستقاة من حالاتهم على الأصحاء و الأسوياء ، فما زالت السموم التي بثها قائمة في مجالات كثيرة ن من بينها العيادات النفسية التي أشرنا اليها ، ومن بينها الاعلانات التي يستخدم فيها الجنس و الاغراء ، والتي تبثها وسائل الاعلام على مدار الساعة في كل الارض !

وحين توارى فرويد عن الساحة ـ أو عن مكان الصدارة في الساحة ـ فقد خلفته مدرسة أخرى لا تقل عنه سوءا في تصورها وتصويرها للانسان ، وهي المدرسة السلوكية التي لها السيادة اليوم في الدراسات النفسية ، التي تعتمد اعتمادا أساسيا على تجارب المعمل ، ولكنها تستمد تجاربها أساسا من عالم الحيوان ، ثم تجربها ـ بنجاح ! على عالم الانسان !

كلتا النظرتين : نظرة فرويد ونظرة السلوكيين ، تفسير جوانب من الإنسان ، ولكنها لا تحيط به ، ولا تستطيع أن تفسر المقامات العليا من النفس البشرية ، التي لا تصل إليها

(جنسيات) فرويد ، ولا تجارب السلوكيين).
(نقلاً من كتاب التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ـ للأستاذ محمد قطب)